خارج الفقه

۲۹-۱۰-۹۵ سوره مبارکه الفتح ۱۵

دراسات الاستاذ:

مهدي الهادوي الطهراني

سورةُ الفَتْح

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ

إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحاً مُبِيناً (1)

سورةُ الفَتْح

لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَ مَا تَأَخَّرَ وَ يُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَ يَهْدِيَكَ صِرَاطاً مُسْتَقِيماً (2)

وَ يَنْصُرَكَ اللَّهُ نَصْراً عَزِيزاً (3)

هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَاناً مَعَ إِيمَانِهِمْ وَ لِلَّهِ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ وَ كَانَ اللَّهُ عَلِيماً حَكِيماً (4)

سورةُ الفَتْح

لِيُدْخِلَ الْمُؤْمِنِينَ وَ الْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَ يُكَفِّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَ كَانَ ذَلِكَ عِنْدَ اللَّهِ فَوْزاً عَظِيماً (5)

وَ يُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ وَ الْمُنَافِقَاتِ وَ الْمُشْرِكِينَ وَ الْمُشْرِكَاتِ الظَّانِّينَ بِاللَّهِ ظَنَّ السَّوْءِ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ وَ غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَ لَعَنَهُمْ وَ أَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ وَ سَاءَتْ مَصِيراً (6)

سورةُ الفَتْح

وَ لِلَّهِ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ وَ كَانَ اللَّهُ عَزِيزاً حَكِيماً (7)

إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِداً وَ مُبَشِّراً وَ نَذِيراً (8)

لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَ رَسُولِهِ وَ تُعَزِّرُوهُ وَ تُوَقِّرُوهُ وَ تُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَ أَصِيلاً (9)

سورةُ الفَتْح

إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ وَ مَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهُ اللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْراً عَظِيماً (10)

سورةُ الفَتْح

سَيَقُولُ لَكَ الْمُخَلَّفُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ شَغَلَتْنَا أَمْوَالُنَا وَ أَهْلُونَا فَاسْتَغْفِرْ لَنَا يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ لَكُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئاً إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرّاً أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعاً بَلْ كَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيراً (11)

بَلْ ظَنَنْتُمْ أَنْ لَنْ يَنْقَلِبَ الرَّسُولُ وَ الْمُؤْمِنُونَ إِلَى أَهْلِيهِمْ أَبَداً وَ زُيِّنَ ذَلِكَ فِي قُلُوبِكُمْ وَ ظَنَنْتُمْ ظَنَّ السَّوْءِ وَ كُنْتُمْ قَوْماً بُوراً (12)

سورةُ الفَتْح

وَ مَنْ لَمْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَ رَسُولِهِ فَإِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَعِيراً (13)

وَ لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَ يُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَ كَانَ اللَّهُ غَفُوراً رَحِيماً (14)

سورةُ الفَتْح

سَيَقُولُ الْمُخَلَّفُونَ إِذَا انْطَلَقْتُمْ إِلَى مَغَانِمَ لِتَأْخُذُوهَا ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ يُرِيدُونَ أَنْ يُبَدِّلُوا كَلاَمَ اللَّهِ قُلْ لَنْ تَتَّبِعُونَا كَذَلِكُمْ قَالَ اللَّهُ مِنْ قَبْلُ فَسَيَقُولُونَ بَلْ تَحْسُدُونَنَا بَلْ كَانُوا لاَ يَفْقَهُونَ إِلاَّ قَلِيلاً (15)

قُلْ لِلْمُخَلَّفِينَ مِنَ الْأَعْرَابِ سَتُدْعَوْنَ إِلَى قَوْمٍ أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ تُقَاتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ فَإِنْ تُطِيعُوا يُؤْتِكُمُ اللَّهُ أَجْراً حَسَناً وَ إِنْ تَتَوَلَّوْا كَمَا تَوَلَّيْتُمْ مِنْ قَبْلُ يُعَذِّبْكُمْ عَذَاباً أَلِيماً (16)

سورةُ الفَتْح

- قرأ اهل المدينة، و ابن عامر (ندخله و نعذبه) بالنون على وجه الاخبار من اللّه عن نفسه. الباقون- بالياء- رداً على اسم اللّه.
- يقول اللّه تعالى لنبيه (قُلْ لِلْمُخَلَّفِينَ مِنَ الْأَعْرابِ) أى لهؤلاء المخلفين الذين تخلفوا عنک فِي الخروج إلى الحديبية (سَتدعون) فى ما بعد (إِلى قَوْمٍ أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ تُقاتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ)
- **قال ابن عباس: أولوا البأس الشديد أهل فارس. و قال ابن أبى ليلى و الحسن: هم الروم. و قال سعيد بن جبير و عكرمة و قتادة: هم هوازن بحنين. و قال الزهرى: هم بنو حنيفة مع مسيلمة الكذاب، و كانوا بهذه الصفة.**

التبيان فى تفسير القرآن، ج۹، ص: ۳۲۴

سورةُ الفَتْح

- و استدل جماعة من المخالفين بهذه الآية على إمامة أبـى بكـر، مـن حيث ان أبا بكر دعاهم إلى قتال بنى حنيفة، و عمر دعاهم إلى قتـال فارس و الروم، و كانوا قد حرموا القتال مع النبى صَلى اللَّهُ عَليه و آله بدليل قوله (لَنْ تَخْرُجُوا مَعِيَ أَبَداً، وَ لَنْ تُقاتِلُوا مَعِيَ عَدُوًّا) و هذا الذى ذكروه غير صحيح من وجهين:
- أحدهما- أنه غلط فى التاريخ و وقت نزول الآية.
- و الثانى- أنه غلط فى التأويل، و نحن نبين فساد ذلک أجمع،

التبيان فى تفسير القرآن، ج۹، ص: ۳۲۴

سورةُ الفَتْح

- و لنا فی الكلام فی تأويل الآية وجهان:
- أحدهما- إنه تنازع فی اقتضائها داعياً يدعو هؤلاء المخلفين غير النبی صَلی اللَّهُ عَليه و آله و يبين أن الداعی لهم فی ما بعد كان النبی صَلی اللَّهُ عَليه و آله علی ما حكيناه عن قتادة و سعيد ابن جبير فی ان الآية نزلت فی اهل خيبر، و كان النبی صَلی اللَّهُ عَليه و آله هو الداعی إلی ذلک.
- و الآخر- ان يسلم ان الداعی غيره، و نبين انه لم يكن أبا بكر و لا عمر بل كان أمير المؤمنين عليه السّلام.

التبيان فی تفسير القرآن، ج۹، ص: ۳۲۴

سورةُ الفَتْح

- فاما الوجه الاول فظاهر، لأن قوله (سَيَقُولُ لَکَ الْمُخَلَّفُونَ) إلى قوله (وَ كُنْتُمْ قَوْماً بُوراً) قد بينا انه أراد به الذين تخلفوا عن الحديبية بإجماع المفسرين ثم قال (سَيَقُولُ الْمُخَلَّفُونَ إِذَا انْطَلَقْتُمْ ....) إلى آخر الآية، فبين أن هؤلاء المخلفين سألوا ان يخرجوا إلى غنيمة خيبر فمنعهم اللّه من ذلک، و أمر نبيه صَلى اللّهُ عَليه و آله ان يقول لهم (قُلْ لَنْ تَتَّبِعُونا ....) إلى هذه القرية، لأن اللّه تعالى حكم من قبل بأن غنيمة خيبر لمن شهد الحديبية و انه لا حظ فيها لمن لم يشهدها،
- و هذا هو معنى قوله (يُرِيدُونَ أَنْ يُبَدِّلُوا كَلامَ اللَّهِ) و قوله (كَذلِكُمْ قالَ اللَّهُ مِنْ قَبْلُ)

التبيان فی تفسير القرآن، ج۹، ص: ۳۲۴

سورةُ الفَتْح

- ثم قال (قُلْ لِلْمُخَلَّفِينَ مِنَ الْأَعْرابِ سَتُدْعَوْنَ إِلى قَوْمٍ أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ تُقاتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ) و إنما أراد الرسول سيدعوهم فى ما بعد إلى قتال قوم بهذه الصفة، و قد دعاهم بعد ذلک إلى غزوات كثيرة.
- و قال قوم: أولى بأس شديد، كموقعه حنين و تبوک و غيرها، فمن أين يجب أن يكون الداعى لهم غير النبى صَلى اللَّهُ عَليه و آله

التبيان فى تفسير القرآن، ج۹، ص: ۳۲۴

سورةُ الفَتْح

- فأما قولهم إن معنى قوله (كَذلِكُمْ قالَ اللَّهُ مِنْ قَبْلُ) هو انه أراد قوله (فَإِنْ رَجَعَكَ اللَّهُ إِلى طائِفَة مِنْهُمْ فَاسْتَأْذَنُوكَ لِلْخُرُوجِ فَقُلْ لَنْ تَخْرُجُوا مَعِيَ أَبَداً وَ لَنْ تُقاتِلُوا مَعِيَ عَدُوًّا) مملوء بالغلط الفاحش فى التاريخ، **لأنا قد بينا أن هذه الآية التى فى التوبة نزلت ب (تبوک) سنة تسع. و آية سورة الفتح نزلت سنة ست، فكيف تكون قبلها،**

التبيان فى تفسير القرآن، ج۹، ص: ۳۲۵

سورةُ الفَتْح

- و ينبغى لمن تكلم فى تأويل القرآن أن يرجع إلى التـاريخ و يراعـى اسباب نزول الآية على ما روى، و لا يقول على الآراء و الشهوات. و تبين أيضاً أن هؤلاء المخلفين غير أولئک، و إن لم يرجع إلى تاريخ.

التبيان فى تفسير القرآن، ج۹، ص: ۳۲۶

سورةُ الفَتْح

- و نقول قوله (فَإِنْ تُطِيعُوا يُؤْتِكُمُ اللَّهُ أَجْراً حَسَناً وَ إِنْ تَتَوَلَّوْا كَما تَوَلَّيْتُمْ مِنْ قَبْلُ يُعَذِّبْكُمْ عَذاباً أَلِيماً) فلم يقطع على طاعة، و لا على معصية بل ذكر الوعد و الوعيد على ما يتعلق به من طاعة او معصية و حكم المذكورين فيهم فى سورة التوبة، بخلافه لأنه تعالى قال بعد قوله (إِنَّكُمْ رَضِيتُمْ بِالْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّة فَاقْعُدُوا مَعَ الْخالِفِينَ) إلى قوله (وَ هُمْ كافِرُون) «١» فَاختلاف أحكامهم يدل على اختلافهم، و قد حكينا عن سعيد بن جبير انه قال هذه الآية نزلت فى هوازن يوم حنين. و قال الضحاک: هم ثقيف، و قال قتادة: هم هوازن و ثقيف،

التبيان فى تفسير القرآن، ج٩، ص: ٣٢٦